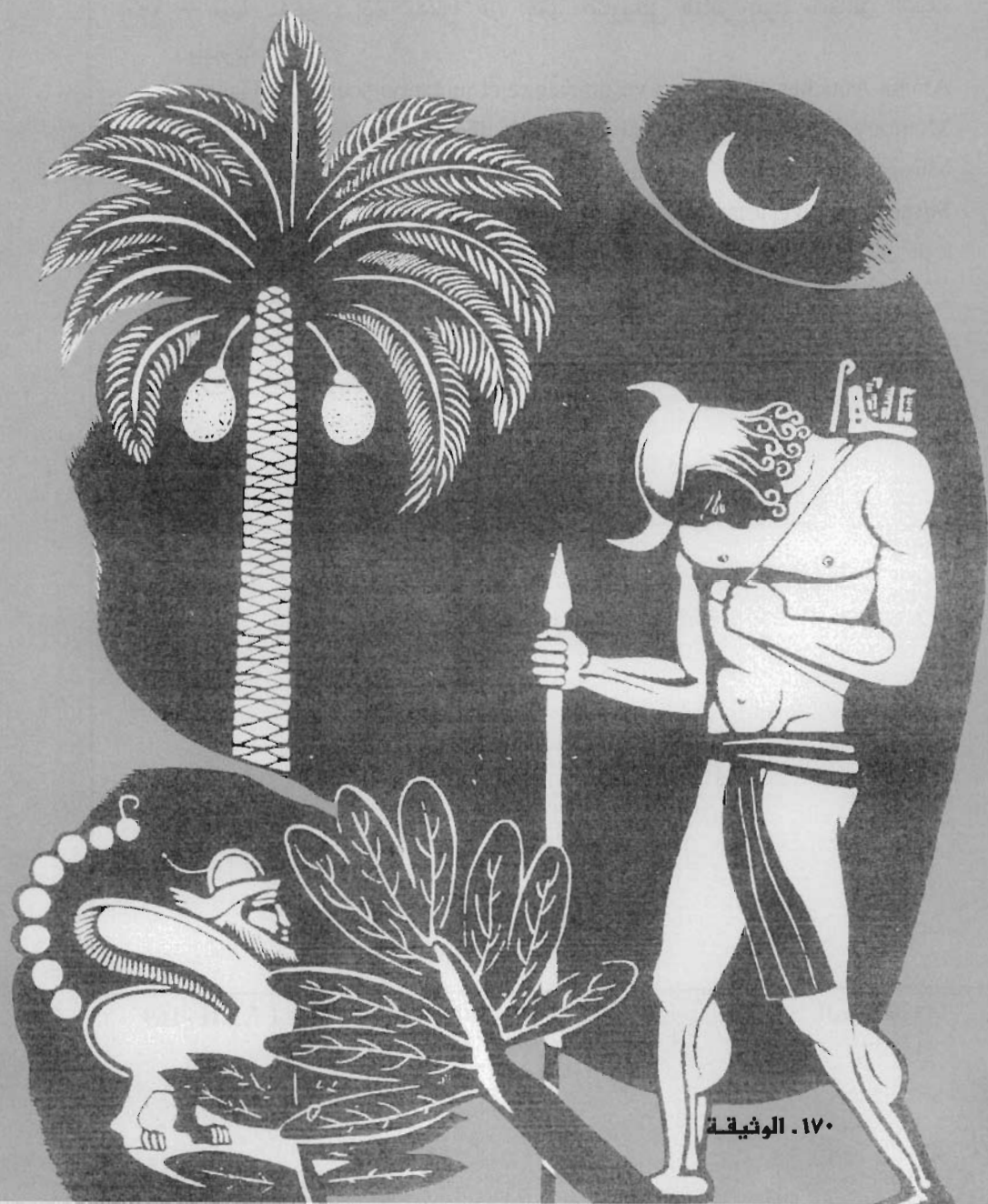


# وليد



# مزدورسي السومريين

بقلم : عبد الجبار محمود السامرائي

يعد السومريون من أقدم الشعوب التي استطاعت وضع لبنات الحضارة الأولى في القسم الجنوبي من العراق القديم الذي عرف ببلاد سومر Summer، وكان ظهورهم على مسرح التاريخ في منتصف الألف الرابع قبل الميلاد .

لقد بقي أصل السومريين مشكلة مثيرة للجدل لم تستطع حلها الدراسات اللغوية أو الإنترولوجية أو الآثارية . فهناك من الباحثين من قال أن السومريين ربما جاءوا إلى جنوب وادي الرافدين في العصر السابق لعصر الوركاء، أي في عصر العبيد<sup>(\*)</sup>، من "دلون" التي هي (البحرين)، وأنهم من بعد ذلك نزحوا شمالاً باتجاه القسم الجنوبي من وادي الرافدين الذي عرف فيما بعد ببلاد سومر<sup>(١)</sup> . وكانت البحرين "دلون" محطة مهمة ينزل فيها الناس خلال هجراتهم نحو الشمال، كما كانت محطة للتجار مع الهند والبلاد البحرية الأخرى<sup>(٢)</sup> .



(\*) عصر العبيد : ٥٣٠٠ - ٣٦٠٠ ق. م .

## المنزلة الروحية لدلون عند السومريين

برز اسم دلون في النصوص السومرية على أنه أرض طاهرة، وأرض مقدسة، أشبه ما تكون بالفردوس ؛ المذكور في الكتب المقدسة، وتعد جنة عدن التي ذكرت في سفر التكوين من العهد القديم، أقرب شبه إليها، فهذه الفردوس تحوي أشجاراً باسقة، وأعشاباً تشبه في وصفها جنة الخلد التي يذهب إليها الصالحون بعد مماتهم<sup>(٣)</sup>.

وكان موضع (الفردوس) بموجب القصة السومرية في أرض "دلون" التي كانت جزيرة تتمتع بقدسية خاصة، وكانت فيها آلهة تَعْبُد لها أهل العراق، وقد وصفت بكونها (أرض الخلود التي لا يوجد فيها مرض أو موت أو حزن . . .)، كما جاء في النص الذي نشر لأول مرة في عام ١٩١٥م، وترجمه فيما بعد عالم السومريات كريمر "Kramer" والمؤلف من ٢٧٨ سطراً، والمنسَّق على هيئة ستة أعمدة، ويحمل عنوان (إنكي وننخرساك)، وأن أرض دلون كانت مسرحاً له . يقول النص :

"مقدسة هي المدينة التي مُنحت لكم،

ومقدس بلد دلون،

مقدس سومر، . . .

ومقدس بلد دلون، بلد دلون مقدس،

بلد دلون نقي،

بلد دلون مغمور بالنور، متميز بالإشعاع،



أنكي . . إله المياه العذبة السومري



يوم أقيم، الأول في دلمون، حيث استقر إنكي مع زوجته،  
أصبح المكان هذا نقياً ومشعاً بالنور .  
الغراب لا يصيح في دلمون، والحجل لا تصوّصو،  
الأسود لا تقتل أحداً،  
والذئب لا يلتهم الحمل الوديع،  
لم يكن الكلب يتقن إخضاع الغزلان،  
ولم يكن الخنزير البري يأكل الحبوب،  
لم تكن طيور السماء تأتي لتنقر شعير الأرملة وهو يجفّف على  
السطح،  
ولم تكن الحمامة تحني رأسها،  
ولم يكن أي مريض العينين يشكو من مرض عينيه،  
ولا مريض الرأس كان يشكو من مرض رأسه،  
لم تكن أية امرأة عجوز تقول : إنني عجوز،  
ولا الرجل العجوز يقول : إنني عجوز<sup>(٤)</sup> .  
كما يتخلل النص كيفية تعيين الإله إنكي ابنته ؛ لتكون الإلهة  
الحامية لدلمون، حيث جاء في النص :  
"ويجيب الأب إنكي ابنته نين - سيكيلا،  
ليقيم أوتو [ إله الشمس ] المستقر في السماء،  
بإحضار المياه الحلوة من الأرض،  
من مصادر المياه من الأرض،

دعیه یرجعل دلمون تشرب المیاه بوفرة،  
فلتنتج أطيانك وحقولك قمحها،  
لتنحول مدينتك إلى مرفأ الأرض) .

كما یذكر النص بأن "ننخرساک" قد نجحت فی إنبات ثمانی نباتات فی أرض دلمون، وبعد أن أكل الإله "إنکی" تلك النباتات وقع مریضاً، فغضبت ننخرساک وانسحبت من صحبة الآلهة، وهددت بعدم العودة حتی یموت الإله إنکی ؛ إلا أن الثعلب المکار نجح فی إقناع ننخرساک بالعودة، فوافقت على علاج الإله إنکی، وفعلت ذلك عبر إنجاب ثمانی معبودات وإله ؛ قمن بعلاج أمراض الإله إنکی .

أما الإله الذي وجدته ننخرساک فهو "أنشاغ" الذي یقابله الإله "أنزاک"، إله دلمون الذي عثر على اسمه منقوشاً على الحجر فی البحرین .

إن دراسة النص الآنف الذكر ؛ تعطي مدلولات كافية على أن أرض دلمون كانت أرضاً طاهرة ومقدسة، وأنها الفردوس المنشود بالنسبة للسومریین، الذين حاولوا جاهدين الوصول إليها، فقد كان كل فرد سومي یرسعی للوصول إلى أرض دلمون، کی یجد ضالته المنشودة فیها<sup>(٥)</sup> .

## دلمون . . أرض الأحياء

أما صفة (الفردوس) ؛ فتتأكد على دلمون، لكونها موطن الآلهة، من أسطورة سوميية أخرى، هي الأصل السومي لأسطورة الطوفان

البابلية على الأرجح، والتي يلعب فيها (أتونابشتم) دور شخص يسمى "زيوسودرا" في الأسطورة السومرية، (وهو الناجي الوحيد من الطوفان)، وكان ملكاً ورعاً مطيعاً للآلهة، وكان حاكماً على بلاد سومر من عاصمته "شروباك"، وهو الذي نفذ أوامر الآلهة مثل "أتونابشتم" - الذي هو نوح السومريين - في بناء الفلك، وإنقاذ نفسه ومن معه في الفلك من الطوفان. وقد منح من جراء عمله هذا "حياة مثل الآلهة" - أي الخلود - وتنفساً أبدياً، ثم (نقل إلى دلمون، المكان الذي تشرق فيه الشمس). وهكذا تعيّن الأسطورة فردوس السومريين بأرض دلمون<sup>(٦)</sup>.

وفي أسطورة (جلجامش وأرض الحياة) أو (أرض الأحياء) السومرية، نعرف بأن جلجامش بعد أن عرف مصيره: الموت عاجلاً أم آجلاً؛ قرر السفر إلى أرض الحياة. وعلى الرغم من أن هذه الأسطورة لا توضح الجهة التي سافر إليها جلجامش، لذلك يرى بعض الباحثين أن تكون وجهته نحو بلاد دلمون، لأنها أرض الحياة الأبدية وموطن الآلهة، والمكان الذي سيجد فيه "أتونابشتم"، صانع الفلك.

ويتذرع الباحثون، لتأكيد ذلك بفقرة وردت في أسطورة (جلجامش وأرض الحياة) تشير إلى (مكان) وسفينة مكان. وبسبب ذكر (مكان) بدلمون في العديد من النصوص المسمارية؛ فمن المرجح أن تكون وجهة سفر جلجامش صوب دلمون<sup>(٧)</sup>.

إن دلمون التي توجه إليها جلجامش ورد ذكرها في أسطورة "جلجامش وأرض الأحياء" السومرية في هذا النص:

"إلى أرض الأحياء تاق السيد إلى السفر،

إلى أرض الأحياء تاق جلعامش إلى السفر،  
فقال لخدمه أنكيدو : إن الختم والآجر<sup>(٨)</sup> لم يأتيا بالمصير المحتوم  
بعد .

ولسوف أدخل أرض الأحياء وأخلد لنفسي هناك ذكراً .  
في الأماكن التي رفعت فيها الأسماء سأرفع اسمي ،  
وفي الأماكن التي لم ترفع فيها الأسماء سأرفع اسم الآلهة" .  
فأجابه أنكيدو :

" أخبر أوتو، البطل أوتو<sup>(٩)</sup> ،

فتلك الأرض في رعاية أوتو،

أرض الأرز الوحشية في رعاية أوتو، بلِّغ أوتو" .

فرفع جلعامش بيديه جدياً تام البياض، وضغط إلى صدره جدياً  
أسمر، قرباناً، وأمسك بيده صولجان سيادته الفضّي، وتوجه بالقول إلى  
أوتو السماوي :

"أي أوتو، إنني لدخل أرض الأحياء فكن نصيري . إنني لدخل  
أرض الأرز فكن معينني" .

فأجابه أوتو :

" إنك لمقاتل نبيل حقاً . ولكن، ما هي بغيتك في تلك الأرض ؟

"أي أوتو، سأتوجه إليك بكلمة علّك تصغي إليّ، وكلام أسمعك  
إياه علّك تنصت إليّ :

في مدينتي يموت الرجل كسير القلب،



يقضي الرجل حزين الفؤاد .  
أنظر من فوق السور،  
تري الأحداث الميتة طافية في النهر،  
وأرى أني سأغدو مثلها حقاً .  
فالإنسان مهما علا، لن يبلغ السماء طويلاً، ومهما اتسع، لن يغطي  
الأرض عرضاً .  
وما دام الختم والآجر لم يأتيا بالمصير المحتوم بعد،  
سأدخل أرض الأحياء، وأخلد لنفسي هناك ذكراً .  
في الأماكن التي رفعت فيها الأسماء سأرفع اسمي،  
وفي الأماكن التي لم ترفع فيها الأسماء سأرفع فيها اسم  
الآلهة<sup>(١٠)</sup> .

## **المكانة الاقتصادية لدلون بالنسبة للسومريين**

يبدو واضحاً أن ثراء دلمون، وتوفر المواد الأولية فيها، والتي يندر وجودها في العراق، دفع بالحكام العراقيين لتعزيز أواصر الصلة مع دلمون<sup>(١١)</sup>، فضلاً عن أن النشاطات الاقتصادية والتجارية الواسعة التي كانت تنفذ من خلال الرحلات البحرية، هي التي هيأت الفرصة أمام جزر البحرين لتحتل مركز الصدارة .

وتوضح لنا رسالة قديمة بعث بها تجار عراقيون أو وكلاؤهم، يقيمون في دلمون، أو كانوا يذهبون إليها لشراء التمر، بأن هذه البلاد

كانت غزيرة في إنتاج التمر ؛ بحيث تعتمد إلى تصديرها . ففي جملة  
لتحية من مقدمة الرسالة يرد هذا النص :

" أرجو الإله أنزاك والإلهة مس كيلاك ، إلهة دلمون أن تحمي  
حياتك ، ومن حولي الأخلامو<sup>(١٢)</sup> أخذوا التمر<sup>(١٣)</sup> .

والأخلامو ، كما يتوقع البعض ، قبائل كانت تسكن الساحل ، ومن  
المتوقع أنهم كانوا يهاجمون بسفنهم سفناً أخرى محملة بالبضائع  
التجارية .

ومن ترنيمة دينية ، يرد فيها على لسان الإلهة عشتار : " في أور ،  
بيت/معبد يعود لي " .

وتنقلنا معلومات هذا الجزء المقتبس من الترنيمة إلى علاقات  
تجارية متطورة بين بلاد سومر ودلمون . ففي مدينة (أور) ، شيد معبد  
خاص بالدلمونيين ، وهي إشارة واضحة إلى جالية دلمونية كبيرة كانت  
ترعى المصالح التجارية بين أور ودلمون .

ونظراً لأهمية الجالية ، وأهمية نشاطاتها التجارية ، فقد أحاطتها  
الإلهة عشتار بحمايتها .

وتتضح المعلومات الاقتصادية لدلمون ومكان في نصوص دينية  
أخرى . ففي قصيدة سومرية عنوانها (إنكي ونظام العالم) نقرأ :

"بلاد مكان ودلمون ، توجهت بأبصارها إلى إنكي ، وملئت قوارب  
دلمون ، وحملت قوارب مكان بكل سعتها . ونقلت قوارب ماكليوم<sup>(١٤)</sup>  
الذهب والفضة من مليوخوا إلى نفر لأجل انليل ، سيد العالم  
أجمع" <sup>(١٥)</sup> .

إن العديد من النصوص الكتابية التي تم اكتشافها في مدينة أور القديمة بالعراق، تبين العقود التجارية التي أبرمت بين تجار مدينة أور وتجار إقليم دلمون، إبان العصر السومري الحديث (٢١٥٠ - ١٩٥٠ ق.م). وكشفت التنقيبات الأثرية عن الأوزان والمكاييل التي كان تجار دلمون يتعاملون بها مع تجار أور<sup>(١٦)</sup>.

وفي عهد الملك "أورنانشة"، مؤسس سلالة لجش في العراق القديم، في حدود عام ٢٤٥٠ ق.م، وصلنا نص يشير إلى الصلات التجارية بدلمون، وذكر النص: "وجلبت قوارب دلمون الخشب"<sup>(١٧)</sup>.

## الخاتمة

منذ اكتشاف النصوص الخاصة بأرض دلمون، في منتصف القرن الماضي وحتى اليوم، وعلماء المسماريات والآثار منكبون على تحديد موقعها الجغرافي، وتبين لهم أنها تقع ما بين بلاد سومر وإقليمي "مكّان" و "ملوخا". كما أنها كانت مركزاً لتكديس كثير من البضائع التي كانت تصدر منها إلى بلاد وادي الرافدين أو تستورد من هذه البلاد.

لذا، فإن مكان دلمون، لا بد وأن يكون إبان العصر السومري القديم (٢٩٠٠ - ٢٣٥٠ ق.م) والعصر السومري الحديث (٢١٥٠ -

١٩٠٠ ق.م) ليس بعيداً عن جزر البحرين ؛ إن لم يكن هو البحرين بذاتها على الأرجح .

أما اسم "دلمون" ؛ فقد ظهر لأول مرة في إحدى حوليات الملك السومري "أورنانشة" عام ٢٤٥٠ ق.م ملك لكش في العراق القديم، وقد أشارت إحدى كتاباته الملكية بأنه جلب الخشب من إقليم دلمون .

ورجح بعض الباحثين أن موضع (الفردوس) في أرض دلمون، كانت فيه آلهة يعبدها العراقيون القدماء، وأن الإله إنكي وزوجته قد حلا بها لقدسيتهما، ولكونها أرض الخير والعطاء .

ولا عجب في أن رحلة البطل السومري جلجامش كانت إلى دلمون، سعياً إلى الخلود، لأن جميع أوصافها تطابق الجنان التي وردت في الكتب المقدسة . ووجد اسم الإله "أنزاك" في كتابة عثر عليها في البحرين .

ونظراً لكثرة المدافن التي عثر عليها في البحرين، والتي بلغ عددها أكثر من ١٧٣,٠٠٠ مدفن، فإن بعض الباحثين ذهبوا إلى أن جزر البحرين "دلمون" كانت مقابر للسومريين، باعتبارها تربة مقدسة .

كما أن التنقيبات والدراسات الحديثة التي أجريت في جزر البحرين، أثبتت الاتصال الروحي والحضاري ما بين بلاد سومر ودلمون، بدليل أن معظم اللقى الأثرية التي كشف عنها في جزر البحرين لها ما يماثلها في بلاد سومر . كما أن الكثير من أسماء الآلهة

التي جاء ذكرها في النصوص التي عثر عليها في جزر البحرين هي في الواقع آلهة عراقية، عبدت في أرض دلمون وسومر، من قبل جاليات دلمونية، كانت تسكن بلاد سومر، وهذا دليل أكيد على مكانة دلمون الروحية لدى السومريين، ولا عجب إذا ما اعتبروها (الفردوس) أو جنة عدن .

عبد الجبار محمود السامرائي  
(باحث في التاريخ والتراث)  
عضو اتحاد المؤرخين العرب





## الموامش والإحالات

- ١ - د. فاضل عبد الواحد علي : (السومريون والأكديون)، ضمن كتاب (العراق في التاريخ)، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، ص ٦٣ و ٦٧ .
- ٢ - د. جواد علي : (المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام)، ج ١، دار العلم للملايين، بيروت، بغداد، ١٩٧٧، ١٩٧٨، ص ٥٦٨ .
- ٣ - د. أحمد سوسة : (مفصل العرب واليهود في التاريخ)، ط ٥، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد ١٩٨١، ص ٤٢٨ .
- ٤ - مؤلف مجهول : (حضارة البحرين من دلون إلى تايلوس)، مجلة (البحرين الثقافية)، العدد ٢١، يوليو ١٩٩٩، ص ١٠٩ .
- ٥ - د. منير يوسف طه : (جذور الحضارة : دلون)، مجلة (آفاق عربية)، العدد التاسع، ربيع الأول - ربيع الثاني ١٤١٣هـ/أيلول (سبتمبر) ١٩٩٢م، ص ٩١ .
- ٦ - Pritchard, J. : Ancient Near Eastern Texts [ANET] Princeton, 1969, P. 34. -
- ٧ - د. رضا جواد الهاشمي : (المدخل لآثار الخليج العربي)، منشورات مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة، ١٩٨٠، ص ٢٥ .
- ٨ - لا تتضح هنا علاقة الختم والآجر بالمصير المحتوم لكل إنسان وهو الموت . فالختم يطبع على طين طري ويترك ليجف أو يشوى في الفرن متحولاً إلى فخار عليه صورة الختم . وربما كان المقصود أن لكل إنسان ساعة موت معلومة مطبوعة في لوح القدر . فنحن نعرف من نصوص سومرية وبابلية أخرى عن وجود ألواح تدعى بألواح الأقدار ؛ يحتفظ بها عادة كبير الآلهة .
- ٩ - أوتو : هو شمش البابلي، إله الشمس وحامي جلجامش .
- ١٠ - فراس السواح : (جلجامش . ملحمة الرافدين الخالدة)، منشورات دار علاء الدين، ط ١، دمشق ١٩٩٦، ص ٤١-٤٣ .

- ١١ - د. رضا جواد الهاشمي : مرجع سبق ذكره، ص ٢٧ .
- ١٢ - الأخلامو : تسمية شاملة، وردت في الكتابات القديمة لجماعة من القبائل البدوية في شمال الجزيرة العربية، وقد ارتبطوا محلياً بالآراميين .
- ينظر د. أحمد سوسة : مرجع سبق ذكره، ص ١٦٠ .
- ١٣ - Luckenbill, D. D.,: [Ancient Records of Assyria and Babylonia — [ARAB] Vol. I-II, Chicago, 1927, P. 36.
- ١٤ - ماكليوم : نوع من القوارب .
- ١٥ - Kramer : The Sumerians, P. 174 ff.
- ١٦ - د. منير يوسف طه : مرجع سبق ذكره، ص ٨٨ .
- ١٧ - P. B. Cornwall : [The Letters from Dilmum], Jes, Vol. I, — No. 4, P. 137 ff.